﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾

[الأنعام: 133]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين تبايُنِ دَرجاتِ الجزاءِ، وغِنَى الله عنِ الإذهابِ والاستِخلافِ

لمّا بيَّنَ تعالى ثوابَ أصحابِ الطَّاعات، وعقابَ أصحابِ المعاصي والمحرَّمات، وذكرَ أنَّ لكلِّ قومٍ درجةً مخصوصةً، ومَرْتَبَة معيَّنة، بيَّن أنَّ تخصيص المطيعين بالثَّواب، والمذنبين بالعذاب، ليس لأجل أنَّه محتاجٌ إلى طاعة المطيعين، أو يَنْتَقِصُ بمعصية المذنبين، فإنَّه تعالى غنيٌّ بذاتِهِ عن جميعِ العالمين[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُذۡهِبۡكُمۡ﴾: أَصْلُ الذَّهاب: المُضيُّ، والذَّهْبَةُ: المَرَّةُ الواحِدَةُ من الذَّهاب، ويقولون: ذَهَبَ لِذَهَبِهِ، أي: لِمَذْهَبِه الَّذي يَذْهَبُ إليه[2]، والمَذْهَبُ: مَصْدَرٌ، كالذَّهاب، وذَهَبَ بِهِ، وأَذْهَبَه غَيْرُهُ: أَزالَه[3]. والمقصودُ في الآية: التَّمَكُّنُ مِنَ التَّصَرُّفِ بالإيجادِ والإعدام.

2) ﴿وَيَسۡتَخۡلِفۡ﴾: أَصلُ الإخلافِ: جَعْلُ الشَّيءِ خَلَفًا عن الشَّيءِ[4]، والخَلَفُ: العِوَضُ والبَدَلُ، يُقالُ: خَلَّفْتُ فلانًا أُخَلِّفُهُ تَخْليفًا واسْتَخْلَفْتُهُ، أيْ: جَعَلْتُهُ خَليفَتي[5]، ويُقالُ: أَخْلَفَ اللّٰهُ عليكَ خَيْرًا، أَي: أَبْدلَكَ بما ذَهَبَ مِنْكَ[6]، والخَلَفُ: مِنَ الصَّالحين، ولا يجوزُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/163.
(2) الخليل، العين: (ذهب).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ذهب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (خلف).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).

أن يُقال: مِنَ الأشرار خَلَفٌ[1]، ولا من الأخيار خَلْفٌ، والمقصود من ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ في الآية: ويأتِ بخلقٍ غيركم وأممٍ سواكم.

3) ﴿أَنشَأَكُم﴾: "النُّونُ والشِّينُ والهَمْزَةُ أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفاعٍ في شَيْءٍ وَسُمُوٍّ، وَنَشَأَ السَّحابُ: ارْتَفَعَ، وأَنْشأَهُ اللّهُ: رَفَعَهُ، ومِنْهُ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: 6]، يُرادُ بها العبادةُ التي تنشأ في جوفِ اللَّيل، ومن هذا الأصلِ عُبِّر بها عن بَدْءِ الشَّيء لأوَّل أمره مِن عَدَمٍ، كما قالوا: أنشأ دارًا: بناها، أو مِن أثناءٍ كانت موجودةً، ولكن لم يكن له وجود مُتعَيَّنٌ فيها ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: 61]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأنعام: 98][2]. ومنه ﴿أَنشَأَكُم﴾ في الآية.

4) ﴿ذُرِّيَّةِ﴾: أَصْلُ (ذرّ) يَدُلُّ على لَطافَةٍ وانتشارٍ[3]، ومَصْدَرُه: ذَرَرْتُ، وهو أَخذُك الشَّيءَ بأَطرافِ أصابعك تَذُرُّهُ ذَرَّ المِلْحِ المَسْحوقِ على الطَّعام[4]. والذُّرِّيَّةُ: الخَلْقُ والنَّسْلُ، مَأْخوذَةٌ مِن الذَّرْءِ، فتقول: ذَرَأَ اللّهُ الخَلقَ، أيْ: خَلَقَهُم، وذُرِّيَّةُ الرَّجُلِ: وَلَدُهُ[5]. وهو يحتمل أنَّه مأخوذٌ مِن الذَّرِّ، وهو: النَّشْرُ، فيُقال: ذَرَّ الشَّيءَ، يَذُرُّهُ، أيْ: نَشَرَهُ. أو مِنْ صِغارِ النَّمْلِ؛ لأنَّ اللّهَ أَخْرَجَ الخَلْقَ مِن صُلْبِ آدَمَ كالذَّرِّ[6]. والجَمْعُ: الذَّراري والذُّرِّيَّاتُ. والمقصودُ من ﴿ذُرِّيَّةِ﴾ في الآية: نسلُ الإنسانِ من ذُكورٍ وإناثٍ.

المَعْنى الإجْماليُّ:

قُدرةُ اللهِ تعالى على إذْهابِ الخَلقِ بأَمرِه، والإتيانِ بغيرِهم بمشيئتِه

الآيةُ خِطابٌ موجَّهٌ إلى نَبيِّه محمَّدٍ ﷺ بأنَّ ربَّك - يا مُحمَّدُ ﷺ - هو الغنيُّ عن عباده كلِّهم، فلا يحتاج إليهم، ولا إلى عبادتهم، ولا

(1) الخليل، العين: (خلف).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نشأ).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذرّ).
(4) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (ذرر).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرّ).
(6) الخليل، العين، والجوهرّي، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرّ - ذرر).

يضرُّه كفرُهم، ومع غناهُ عنهم، فهو ذو رحمةٍ بهم، إنْ يَشَأْ؛ يُذْهِبْكم - أيُّها النَّاسُ - ويستخلِفْ مِن بَعْدِكم قومًا آخرينَ، يعملونَ بطاعَته؛ كما أوجَدَكم مِن نَسْلِ قومٍ آخرينَ كانوا قَبْلَكم، فوعيدُ الآخرة مُرتَّبٌ على أعمال المكلَّفين لا بظلمٍ منه سبحانه ولا لحاجةٍ له تعالى إليه؛ لأنَّه غنيٌّ عن العالَمين، بل لأنَّه مِن مقتضى الحقِّ والعَدْل، المقرونَين بالرَّحمة والفَضل[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الوصْلِ بحرفِ العطْفِ (الواو):

كـمـالُ الـصُّـورةِ في بيـانِ عظيمِ شأنِ اللهِ وكَمالِ قُدرتِهِ

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ وصلٌ بحرفِ العطْفِ (الواو)، فعطْفُ جملتين بتحقُّقِ شرطَي الوَصل، وهُما الاتِّصالُ والمُغايرةُ بينهما؛ أمَّا الاتِّصالُ؛ فلأنَّهُما خبريَّتان، فذكرَ تعالى مَن أطاعَ، ومَن عصى، والثَّوابَ والعقابَ، وأنَّه هو الغنيُّ عن كلِّ واحدٍ، لا تنفعُه الطَّاعة، ولا تضرُّه المعصيةُ، ومع كونهِ غنيًّا هو ذو الرَّحمة، فذلك التَّفَضُّلُ التَّامُّ. ذو الرَّحمةِ بجميع خلقهِ، ومن رحمتهِ تأخيرُ الانتقام من العُصاةِ، ويترحَّم عليهم بالتَّكليف ليُعَرِّضهم للمنافع الدَّائمة[2]. وأمَّا المُغايرةُ؛ فإنَّه ذكرَ في الأولى نفيَ الظُّلم عنهُ سبحانه في إهلاكِ القرى، أو أهل القُرى بِظُلمٍ وهم غافلون، وذكر هنا رحمتَهُ سبحانه بالمخلوقاتِ كلِّها، وفائدةُ هذا الوصل تحقيقُ كمالِ الصُّورةِ في بيان عظيمِ شأن اللهِ سبحانه وكامل قدرتهِ، وعظيم عدلهِ ورحمته، وغِنَاهُ عن سائرِ خلقهِ.

تَكرارُ صِيغةِ ﴿وَرَبُّكَ﴾ هنا، وفي الآياتِ السَّابقةِ:

تَكرارُ صيغةِ ﴿وَرَبُّكَ﴾ هنا في قولهِ تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو

(1) ابن جرير، جامع البيان: 9/564 - 565، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/342، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 8/37.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/651.

ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ المعطوفةِ بالواو على جملة: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: 132]، لبيانِ المتلازمة بين علمه ورحمتهِ سبحانه، وبحسب تلك المتلازمةِ النَّاشئة عن صفتين كريمتين من صفاتِ اللهِ تعالى، فقد تَضَمَّنَتِ الجملتان الوعدَ والوعيدَ، وما ذاك إلَّا لصدور رحمتهِ سبحانه بمقتضى علمهِ، والصِّفتان مُطلقتانِ كلتاهما.

وُرودُ مُتلازمةِ (العِلمِ والرَّحمةِ) بعدَ مُتلازمةِ (الغِنَى والرَّحمةِ)

بلاغةُ الإظهَارِ في مقامِ الإضمارِ، في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ﴾:

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ﴾ إظهارٌ في مقام الإضمار، ومقتضاه أن يقال: وهو الغنيُّ ذو الرَّحمة، فخُولِفَ مقتضى الظَّاهر لما في اسم (الرَّبِّ) من تناسبٍ مع مغفرته ورحمته سبحانه، وما في اسم الرَّبِّ من دلالةٍ على العناية بصلاح المربوب، ولتكون الجملةُ مستقلَّةً بنفسِها، فتسري مَسرى الأمثالِ والحِكَم، في استعارةٍ تمثيليَّةٍ، تُذْكَرُ في المواضع المشابهةِ لموضوع ضرْبِ الآيةِ، وللتَّنويه بشأن النَّبيِّ ﷺ [1]. ثمَّ إنَّ اسمَ (الرَّبِّ) أنشأَ طباقَ سلبٍ مع الجملة التي عُطِفَتْ عليها في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾ فاندرجَ العلمُ المطلق مع الغنى المطلقِ والرَّحمة المطلقةِ في الجملة المثبتةِ قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ في تَعداد عظيمِ صفات الله، كمتلازمةٍ لفضلهِ سبحانه على المخاطبين عامَّتهم، مع نفي الغفلةِ عنهُ سبحانه في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾.

تَكرارُ ذِكرِ (الرَّبِّ) يتناسبُ مع تَعدادِ صِفاتِ (العلمِ) و(الغِنَى) و(الرَّحمةِ)

بلاغةُ الاحتراسِ في قولهِ تعالى: ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾:

ومع كونِ اللهِ تعالى غنيًّا عن عبادهِ جميعًا، فهو ذو رحمةٍ بهم؛ إذ لا يكون غناهُ عنهم مانعًا من رحمتهِ لهم، فجاءت الصِّفةُ الثانية ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ احتراسًا أن يفهمَ غناهُ عنهم مانعًا لرحمتهِ سبحانه فما أحسنَ هذا الكلامَ الرَّبانيَّ وأبلغَه! وما أقوى الاقترانَ بين الاسمين

غِناهُ تعالى عن عبادِه، ليس مانعًا من رحمتِهِ بهم، وتعطُّفِه عليهم

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/365.

الكريمين: الغنيِّ والرَّحمنِ في هذا المقام! فإنَّ صفةَ الرَّحمةِ لهم مع صفةِ الغنى عنهم هي غايةُ التَّفضُّل والتَّطوُّل والمنِّ منه تعالى[1].

دلالةُ أُسلوبِ الحصرِ في ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾:

اللهُ له الغِنَى التّامُّ الكاملُ، بكمالِ صفاتِهِ الَّتي لا يتطرَّقُ إليها نقصٌ

حَصَرَ الخبرَ في المبتدأ بقوله: ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾، أي: وحدَهُ الغنيُّ المطلقُ عن كلِّ عابدٍ أو عبادتِه[2]، فهو غنًى مُطلقٌ، فلهُ الغِنى التَّام من كلِّ الوجوه، لكمالهِ وكمال صفاتهِ الَّتي لا يتطرَّق إليها نقصٌ بوجهٍ من الوجوهِ، مقصورٌ على ﴿وَرَبُّكَ﴾، والقصر هنا ادِّعائِيٌّ باعتبار أنَّ غنى غيرِ اللهِ تعالى لمّا كان غنًى ناقصًا نَزَلَ مَنْزِلَةَ العَدَم، أي: ربُّك الغنيُّ لا غيرُه، وغناهُ تعالى حقيقيٌّ، وذِكْرُ وصف الغنيِّ هنا تمهيدٌ للحكم الواردِ عَقِبَهُ، وهو: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[3].

قال الرَّازيُّ: "﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ يفيد الحصرَ، معناهُ: أنَّه لا غنيٌّ إلَّا هو، والأمر كذلك؛ لأنَّ واجبَ الوُجود لذاتهِ واحدٌ، وما سواه ممكنٌ لذاتهِ، والمُمكنُ لذاتهِ محتاجٌ، فثبت أنَّه لا غنيٌّ إلَّا هو"[4].

بلاغةُ الكناية، في جُملةِ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾:

غِنَى اللهِ مُطلقٌ لا مَثيلَ له، ولا حَدَّ لمنتهاه

و﴿ٱلْغَنِيُّ﴾: هنا المُطلَق في غِناه، فلا يحتاج إلى غيرِهِ بحالٍ، فغناهُ يختلفُ عن غنى العباد، وهو محيطٌ بكلِّ الموجودات ممَّا يُنسب إلى الحقيقةِ مُشاهدِها وغائبِها؛ إذ يفتقِر إلى غِناهُ كُلُّ غنيٍّ سواه، وغناه مُتفرِّدٌ واحدٌ لا تكرارَ له قطعًا، فتحتاجُ الموجوداتُ كلُّها إلى غناهُ قطعًا؛ إذ استغنى عن الخَلق، وعن نصرَتِهم، وتأييدِهم لِمُلْكِه، فليست به حاجةٌ إليهم، فهم إليه فقراءُ محتاجون، فالمعنى هنا كنايَةٌ عن عمومِ مِلْكِ اللهِ تعالى.

(1) الشوكاني، فتح القدير: 2/187.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 2/719.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/85.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/154.

بلاغةُ الكنايةِ عنِ الغِنَى، والكنايةِ عنِ الرّحمةِ:

وفي الجملةِ كنايتَانِ ناتجتانِ عن تعدادٍ لصفاته سبحانه فالأولى: كنايةٌ عن غناهُ تعالى عن إيمان المشركين وموالاتِهم، كما في قوله: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ﴾ [الزّمر: 7]، والثّانية: كنايةٌ عن رحمته؛ إذ أمهلَ المشركين، ولم يعجِّل لهم العذابَ، كما قال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ [الكهف: 58][1]. فهو يؤخِّرهم ليوم القيامةِ، فمن تابَ، وأناب؛ غُفِر له ذنبُه.

اللهُ تعالى غنيٌّ عن إيمانِ النّاسِ، وغنيٌّ عن إهلاكِهم؛ لأنّه رحيمٌ بهم

الفَرْقُ بين رحمتِهِ تعالى، ورحمَةِ غيرِهِ:

و﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾؛ لمّا كان اختصاصُه بالغنى والرَّحمةِ، فلا رحمةً إلا رحمتُهُ ولا غنًى إلا غناهُ، وأنَّه ما رتَّب الثَّوابَ والعقابَ إلَّا رحمةً منه وجودًا[2]، أمَّا رحمةُ الوالدين على الولد وسائرُ أنواع الرَّحمةِ بين الخلائقِ، فكلُّها عند التَّحقيق من اللهِ، فلا رحمةَ إلَّا مِنَ اللهِ، فالَّذي قدَّر الرَّحمةَ بين خلقِهِ، وقسَّمها كتقسيم الأرزاقِ هو اللهُ تعالى والَّذي أعطى صحَّةَ المزاجِ والقُدرةَ والمُكْنَةَ هو الرَّحيم في الحقيقة، هذا فضلًا عن أنَّ كلَّ من أعطى غيرَهُ شيئًا؛ فهو إنَّما يعطي لطلب عِوَضٍ، وهو إمَّا الثَّناء في الدُّنيا، أو الثَّواب في الآخرة، وهو تعالى يعطي لا لغرض أصلًا[3].

سائرُ رحَماتِ الدُّنيا منه سُبحانه، قسَّمَها بين خلْقِه كتقسِيمِ الأرزاقِ

براعةُ التَّعبيرِ بـ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ دونَ (الرّحيمِ)، و(الرّحمنِ):

و﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ خبرٌ ثانٍ، وعدلَ عن أن يوصفَ بوصف الرَّحيم إلى وصفِهِ بأنَّه: ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾، وذلك على خلافِ الغنيِّ؛ إذ لم يُوصف بذي الغِنى: ومعناها صاحبٌ، وهي تُشْعِرُ بقوَّةٍ أو وَفْرَةٍ ما تضافُ إليه، والمقصودُ من الوصفِ بذي الرَّحمةِ تمهيدٌ لمعنى الإمهال الذي

رحمةُ اللهِ شاملةٌ للمخلوقاتِ كلِّها، وللكونِ برُمّتِه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/85.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 2/719.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/153.

في قوله: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾، أي: إنَّه لرحمته أمهلهم إعذارًا لهم[1]. و﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ أبلغُ في هذا الباب من (الرَّحيم)؛ لأنَّها تلازمت بهذه الصِّيغةِ مع الغنيِّ، فصارت رحمتُه وصفًا ملازمًا لغناهُ، أدَّى ذلك إلى أن يتفعَّل لدى المُتلقِّين مفهومٌ فريدٌ وحيدٌ للغنى، فتأتي هذه الصِّفة ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ وما فيها من سَعة رحمتهِ لخلائقهِ جميعًا، ثمَّ ما فيها من معاني الإمهالِ للخلق مهما بلغوا في الكفرِ والإصرارِ والعناد، فإنْ تابوا؛ قُبِلت منهم توبتُهم، وإلَّا فإنَّ حسابَهم آتٍ يومَ القيامةِ، ثمَّ إنَّ الرَّحيم، أي: بالمؤمنين، والرَّحمنُ عامٌّ بالمؤمنين وغيرهم من خلقهِ، أمَّا ذو الرَّحمة؛ فهي رحمةٌ شاملةٌ لجميع خلائقهِ من الإنسِ والجنِّ والحيوان، وما لا نُدركه أو نعلمه.

سِرُّ تقديمِ (الغِنَى) على (الرَّحمةِ):

الرَّحمةُ أخصُّ من الغِنَى في القُربِ من العبادِ، والتَّفضُّلِ عليهم

فالغَنيُّ صفةُ ذَاتٍ للهِ تعالى لأنَّه ﷻ لا يفتقر إلى شيءٍ من الجهاتِ، ثمَّ تُليت هذه الصِّفةُ بقوله: ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾، فأردفَ الاستغناءَ بالتَّفضُّل، وهذا أجملُ تناسقٍ، ثمَّ عقَّبَ بجملة في قوله: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ المضمَّنةِ للوعيد المحذِّرةِ من بطشِ اللهِ - ﷻ - في التَّعجيل بذلك[2]. فقدَّم الغنى على الرَّحمةِ؛ لأنَّ الرَّحمةَ أخصُّ في القرب من العبادِ من غناهُ عنهم سبحانه فهو سبحانه غنيٌّ عن عذابِ الخَلق، وهذا الغِنَى أُرْدِفَ بالرَّحمة، فاجتمع الفضلُ من اللهِ على عبادهِ، ولو قالَ: (وربُّك ذو الرَّحمة الغنيُّ)؛ لما أفادَ المعنى المرجوَّ.

نُكتةُ اختيارِ صِفتَي (الغِنى) و(الرَّحمة)، واقترانِهما في هذا المَوضِعِ:

بعد أن نَشَرَ بقوله: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞۚ﴾ أردفَ بقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾، أي: بكلِّ المخلوقات إنسِهم وجنِّهم، مؤمِنهم وكافرِهم،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/85.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/347.

فالكُلِّيَّة أصبحت مدارَ الآياتِ الكريمة حالَ أنْ كان الحديثُ عن كُلِّيَّة الغِنَى والرَّحمة المُطْلَقَتين كصفتَينِ مُتَلازِمَتين في مقامِ الآيةِ الكريمةِ، وأنَّه تعالى إنَّما ذكر ﴿ٱلرَّحْمَةِ﴾، وقرنَ بها ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾ في قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ لأمرين، **أحدهما**: يشيرُ إلى أنَّ ذلك الإرسالَ المذكورَ، لم يكن إلَّا لمحضِ رحمةِ العباد؛ لأنَّه غنيٌّ مطلقًا.

الغِنَى والرَّحمةُ صِفتانِ كلِّيتانِ مُتلازِمتانِ دومًا.

وثانيهما: أنْ يكون تخلُّصًا إلى خطابِ العُصاة من أمَّة محمَّد ﷺ بقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ لأجلِ ذلك الاقترانِ، يعني: أنَّه تعالى مع كونِه ذا الرَّحمةِ، بإرسال الرُّسلِ، كذلك غنيٌّ عن العالمين، وعنكم خاصَّةً - أيُّها العصاةُ - إن يشأْ يذهبْكم، ويأتِ بآخرين، ولذلك عَقَّبَهُ بقوله: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾[1]. ومع كونه غنيًّا فإنَّ رحمتَهُ عامَّةٌ كاملة ولا سبيل إلى إيصالِ النَّاس درجاتِ السُّعداء الأبرارِ إلَّا بترتيبِ التَّرغيب في الطَّاعات، والتَّرهيب عن المحظوراتِ، فقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ ومن رحمتِه على الخلقِ ترتيبُ الثَّواب والعقاب على الطَّاعةِ والمعصية[2]. فجاءتِ الصِّفتانِ الكريمتانِ شاملتين لأصحاب الدَّرَجات كلِّهم.

تَوجيهُ المُتشابهِ اللَّفظِيِّ في الأنعام (133)، وفي الكهف: (58):

قال تعالى هنا ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: 58]، وسبقَ آيةَ الكهفِ قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57] الَّتي ذكرَ فيها الظُّلمَ، فجاء بعدها ذِكْرُ المغفرةِ، فقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف:

الانسجامُ التَّامُّ لأسماءِ الله وصفاتِهِ مع السِّياقِ القرآنيِّ

(1) الطِّيبي، فتوح الغيب: 6/251.
(2) الطِّيبي، فتوح الغيب: 13/163.

58]، أمَّا في هذه؛ فقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾؛ لحديثِه قبلَها عن الدَّرجات من الجنَّةِ أو من النَّارِ، فقال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾، فعبَّرَ هنا عن غناه عن كلا الفريقين، فلا الصَّالحون سيزيدونَ في مُلكِه شيئًا، ولا الكافرون سيُنقصون من مُلكِه شيئًا، فقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾.

دَلالةُ جملةِ الشَّرطِ، في ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾:

الـشَّـرطُ أفـادَ إظهارَ قُدرةِ الله التَّامَّةِ، وعظَمتِه المُطلقةِ

معنى الشَّرط أنْ يقع الشَّيءُ لوقوع غيره[1]. و﴿إِن﴾: حرف شرطٍ جازم، و﴿يَشَأْ﴾: فعلُ الشَّرطِ مضارعٌ مجزومٌ، و﴿يُذْهِبْكُمْ﴾: جوابُ الشَّرط مضارعٌ مجزومٌ، فقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ شرطٌ أفاد إظهارَ القُدرة التَّامَّة، والعظمةِ المطلقةِ، والخطابُ عامٌّ للخلق كلِّهم، فَيُلْحَظُ في الآية اختصارُ الأزمنةِ في مشيئتِه سبحانه وهذا من عظيم قدرتِه، كما قال في موضع آخر: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾ [النّساء: 133]، فالمعنى: إن يشأ إفناءَ هذا العالم واستخلافَ ما يشاء من الخَلقِ يفعلُه، ولا يُعجِزُه شيءٌ، والخطابُ لأهل مكَّةَ خاصَّةً وللنَّاس كافَّةً، فلا يقع في ظنِّ أحدٍ منكم أنَّ الإهلاكَ متوقِّفٌ على شيءٍ غيرِ مشيئتِه، ولكنَّه قضى بإمهالِكم إلى آجالِكم رحمةً لكم وإكرامًا لنبيِّكم ﷺ[2].

إيثارُ فعْلِ المَشيئةِ على الإرادةِ:

إظهارُ أنَّ مشيئةَ اللهِ تعالى، هي الفاعلةُ والقادرةُ على كلِّ شيءٍ

مشيئةُ اللهِ تعالى هي إرادتُهُ الكونيَّةُ، وهي أنَّ ما شاء اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكنْ، وهي من صفاتِ اللهِ تعالى الفِعْليَّةِ، فلم يقل في نظم الآيةِ: (إن يُرِدْ؛ يذهبْكم)؛ لإظهار أنَّ مشيئةَ الله تعالى هي الفاعلةُ والقادرةُ على كلِّ شيءٍ، وأنَّ إرادتَهُ تعالى هي السَّابقةُ والغالبةُ على كلِّ إرادةٍ، وأنَّ ما يشاء اللهُ تعالى يكون، وما لا يشاءُ

(1) المبّرد، المقتضب: 2/46.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 2/719.

لا يكون، وقد نوَّعَ اللّٰهُ تعالى استخدامَ فعلِ (المشيئةِ) ماضيًا ومضارعًا وأمرًا - في القرآن الكريم - أكثرَ من ثلاثمئةِ مرَّةٍ، في مواضعَ مختلفةٍ وموضوعاتٍ متباينةٍ؛ لبيانِ قدرتِهِ الباهرةِ، وحكمتِهِ الظَّاهرةِ، وعدلِهِ التَّامِّ في تدبيرِ الأمورِ.

وأمَّا قوله: ﴿مَّا يَشَآءُ﴾؛ فالمرادُ منهُ خَلْقٌ ثالثٌ ورابعٌ، وهذا منسجِمٌ مع الأفعالِ المُضارعةِ ﴿يَشَأْ﴾ و﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ و﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ الَّتي تدلُّ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ، أو هو خَلْقٌ آخرُ من أمثالِ الجِنِّ والإنسِ، بل المرادُ أنَّه قادرٌ على أن يخلقَ خلقًا ثالثًا مخالفًا للجِنِّ الإنسِ، وهذا الوجهُ أقربُ[1]. وقولهُ: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ في موضعِ مصدرٍ على غيرِ الصَّدرِ لقوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾؛ لأنَّ معناه: (وينشئ)؛ والمعنى: إن يشأِ الإذهابَ والاستخلافَ؛ يذهبْكم، ويستخلف، فكلٌّ من الإذهابِ والاستخلافِ معذوقٌ بمشيئتِهِ و﴿مِنۢ﴾ لابتداءِ الغايةِ[2]. ولا يخفى التَّجانُسُ اللفظيُّ بين ﴿يَشَأْ﴾ و﴿أَنشَأَكُم﴾ لاشتراكِهما في أغلبِ حروفِ الكلمةِ.

بلاغةُ المَجازِ في لفظِ الإذهابِ في: ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾:

الإذهابُ والاستبدالُ، سُنَّةُ اللهِ الكونيَّةُ في الخَلْقِ

الإذهابُ هنا الإهلاكُ، إهلاكُ الاستئصالِ لا الإماتةِ، ناسًا بعد ناسٍ، وجيلًا بعد جيلٍ حتَّى يذهبَ استحقاقُهم في الاستخلافِ، فيُجتثَّ شأنُهم، وتذهبَ ريحُهم، فهو مجازٌ في الإعدامِ والإفناءِ، وبلاغةُ الإذهابِ أنَّه شبَّه حالَهم بحالِ الماشي المتباعدِ عن المكانِ حتَّى يتلاشى عن النَّظرِ، فيكون إذهابُهم بمعنى تلاشي شأنِهم شيئًا فشيئًا، وذلك بحسبِ السُّنَنِ الكونيَّةِ الَّتي وضعَها اللّٰهُ للنَّاسِ جيلًا بعد جيلٍ، وأقوامًا بعد أقوامٍ.

(1) الرّازيّ، مفاتح الغيب: 13/165.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 4/651.

مُناسبةُ الرَّحمةِ للإذهابِ:

لـولا رحـمـتُـهُ لاسـتـأصـلَ شأفَتَهم، بإرادةِ (كُنْ فَيكونُ)

وقولهُ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ جاء بعد قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ والمعنى فيه إشارةٌ جميلةٌ إلى أنَّه تعالى لما وصف نفسَهُ بأنَّه ذو الرَّحمةِ، فقد كان يجوز أن يظنَّ ظانٌّ أنَّه، وإن كان ذا الرَّحمةِ إلا أن لرحمتهِ معدنًا مخصوصًا وموضعًا معيَّنًا، فبيَّن تعالى أنَّه قادرٌ على وضْعِ الرَّحمة في هذا الخلقِ، وقادرٌ على أن يخلقَ قومًا آخرين، ويضعَ رحمتَه فيهم، وعلى هذا الوجهِ يكونُ الاستغناءُ عن العالمين أكملَ وأتمَّ، والمقصودُ التَّنبيهُ على أنَّ تخصيصَ الرَّحمة بهؤلاءِ ليس لأجل أنَّه لا يمكنه إظهارُ رحمتِهِ إلَّا بخلقِ هؤلاءِ[1]. ومن رحمتهِ سبحانه وبالغِ حلمهِ أنَّه يتجاوزُ عن كثيرٍ من أفعالِ العبادِ مما يستحقُّون عليها الإذهابَ والاستئصالَ، كما قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: 45]، فاللهُ تعالى لولا فضلُهُ ورحمتهُ؛ لأهلَك النَّاس بسببِ ذنوبِهم ومعاصيهم، ولكنَّه يُمهِلُهم، ولا يُهمِلُهم، ويدعوهم إلى التَّوبة والإصلاح، ويحاسبُهم في الآخرة على ما فعلوا، وهو إن يشأْ؛ يُذهبْهم بـ"كن فيكون"، لكنَّه جعلَها سُنَّةً كونيَّةً تأخذ وقتها تفاعلًا وانسجامًا على حسب أفعالِكم في الحياة.

سِرُّ التَّعبيرِ بصِيغةِ أفعالِ المضارعِ في الآيةِ الكريمةِ:

يـكـونُ الإذهـابُ والاسـتـخـلافُ، جـيـلًا مـن بـعْـدِ جيلٍ

أمَّا قولهُ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ فالمرادُ به الإهلاكُ، ويحتملُ الإماتةَ أيضًا، ويحتملُ ألَّا يبلِّغَهم مبلغَ التكليف[2]، وأمَّا قولهُ: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم﴾، يعني: من بعدِ إذهابِكم؛ لأنَّ الاستخلافَ لا يكون إلَّا على طريقِ البدل من فائتٍ، وكلا الفعلين مضارعٌ يدلُّ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/156.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/156.

على التَّجدُّد مع الزَّمن، فيكون هذا الوعيدُ مُمكِنَ الوقوعِ والتَّحقُّق في كلِّ وقتٍ، ثمَّ إنَّ معنى هذا الفعلِ هو الإذهابُ شيئًا فشيئًا، وجيلًا بعد جيل، وكذلك الاستخلافُ بحسب السُّنن الكونيَّةِ فيهما.

عِلَّةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ دونَ غيرِه:

ثمَّ إنَّ دلالةَ الإذهابِ أقوى إشارةً إلى جعل الشَّيء كماضٍ لا يُذكَرُ، ولا يُؤْبَهُ لأهله بشيءٍ، وأنَّ هذا المعنى منسجمٌ تمامًا مع توالي الأفعال التي تدُلُّ على التَّجدُّد المستمرِّ، وهذا المعنى بمجملِه تحقيقٌ لغناه سبحانه فقال: ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾، وهو المعنى المجازي، ومن المُحتَمل أن يُرادَ المعنى على الحقيقة، أي: الإذهابُ بمعنى الإهلاكِ بكُنْ فيكون.

قد يكونُ الإذهابُ بـ (كنْ فيكونُ)، وكما شاءَ تعالى يكونُ

دَلالةُ (الواو) في قولِه تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾:

وقولُه: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾، الواو: حرفُ عطفٍ للجمع، أي: يكونُ الإذهابُ والاستخلافُ في وقتٍ واحدٍ، فيكونان متداخِلَيْن زمانًا، وفيه إشارةٌ إلى احتمال أنَّ الحضاراتِ هنا هي المقصودةُ بالإذهابِ والاستخلافِ على سبيل المجازِ، أي: يُذهِبُ شأنَكم، وتمكُّنكُم وحضارتَكم، ويستخلفُ أناسًا آخرين، لا يفعلون أفعالَكم، فيستحقُّون الاستخلافَ، وهذا هو قانونُ الحضاراتِ والاستخلافِ في الأرضِ وسُنَّةِ اللهِ فيها، فالأمَّةُ الَّتي تَعي سير عجلةِ التَّاريخ، وتستوعب مسارَ حركتها؛ سيكون لها اليدُ الطُّولى في الاستخلافِ والتَّمكين، وهكذا تذهبُ أمَمٌ، ليُسْتَخْلَفَ مكانَها أمَمٌ أخرى، ويكون ذلك في تزامُنٍ، وهذا ما يدلُّ عليه حرفُ الواو من الجمعِ بين الإذهابِ والاستخلافِ.

التَّـزامـنُ في الإذهـابِ والاستِـخـلافِ، إشـارةٌ إلى تصرُّفِه كما يريدُ

دلالةُ لفظِ (الاستِخلافِ)، تعريضٌ باستِئْصالِ مُفْنٍ للبُغاةِ:

وتحتمِل ألفاظُ الآيةِ أن تكونَ وعيدًا لجميع بني آدمَ، ويكون الآخرونَ من غيرِ نوعِهم، ممَّا يشاءُ اللهُ أن يخلقَ سبحانه وقدرةُ اللهِ تعالى على ما ذَكرَ تقضي بها العقولُ ببُدائها[1].

الاستـخـلافُ قُـدرَةٌ عـلى الـسَّـعْـيِ، تَـنـسـجـمُ مع سُنَنِ الكَونِ

(1) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 2/121.

وتأتي الكُلِّيَّة أيضًا انسجامًا مع السِّياق، في استخلافِ من يَسْتَحِقُّ أن يُستخلَفَ من الأقوامِ الَّذين يسعَوْنَ منسجمين، مع ما وضع اللهُ تعالى في هذا الكونِ وهذهِ الحياةِ من سُننٍ وقوانينَ، تستدعي من البشر تفسيرَها، والعيشَ بمقتضى ذلك التَّفسيرِ، وقد قدَّمتِ الرِّسالاتُ السَّماويَّةُ للبشرِ تفسيراتِ الحياة، ودَعَتْهُ إلى استخلاف الأرضِ بمقتضى تلك التَّفسيرات وضوابطها وقواعدها، فمن خرجَ عن تلك القواعدِ والضَّوابطِ من تلك الأقوامِ أوشكت أن تُستبدَلَ بأقوامٍ آخرين، يُجيدون الفَهْمَ بمقتضاها، فلا يكونون كسابقيهم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: 38]. عن أبي هريرةَ ﷺ: لمّا نَزَلتْ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: 38]، قالوا: مَن هُم يا رسولَ اللهِ؟ قال - وسَلْمانُ إلى جَنبِه -: «همُ الفُرسُ، هذا وقومُه»[1]، ولتكونَ هذهِ المسألةُ واحدةً من مقاصدِ القطعةِ القرآنيَّةِ، أي: ما يشاءُ من مؤمنين أو كافرين على ما تقتضيهِ حكمتُهُ، وهذا تعريضٌ بالاستئصالِ؛ لأنَّ ظاهرَ الضَّميرِ يفيدُ العمومَ.

وجهُ التَّعبيرِ بصِيغةِ الاستفعالِ ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾:

إنشاءُ الحياةِ واستخلافُ الأقوامِ، سُنَّةٌ كونيَّةٌ عظيمةٌ

وقال: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾؛ فصيغةُ (ويستفعل) السِّين والتَّاءُ فيها للتَّوكيد، وشدَّةِ الإتيانِ بالفعل، الاستخلافُ: جَعْلُ الخَلَفِ عن الشَّيءِ، والخَلَفُ: العِوَضُ عن شيءٍ فائتٍ. وفائدةُ هذه الصِّيغةِ بيانُ انسجامِ نشأةِ الأقوامِ المُستخلَفَةِ، مع السُّنن الكونيَّةِ. فالاستخلافُ هو إعطاءُ القوَّةِ وقدرةِ السَّعي وتناسقِ الأسباب مع النُّموِّ والنَّشأة والرُّقيِّ، منسجمًا مع سُنن الكونِ والحياةِ، فالزِّيادة في هذا الفعل تدلُّ على المبالغةِ، وأنَّ هذه المبالغةَ قد تكونُ في

(1) الطحاوي، مشكل الآثار: الحديث رقم: (2135)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط، تخريج مشكل الآثار: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

كثرةِ الإتيان بالفعلِ، أو الطَّاقة الكُبرى الَّتي تكون في هذا الفعلِ، والَّتي لا تنبغي إلَّا لقدرة اللهِ سبحانه وعظمتهِ وقيوميَّتِه على هذا الكون وعلى هذه الحياةِ والمخلوقات.

وأصلُ (استفعل يستفعل) في معنى الطَّلب والاستدعاء، هو الأكثرُ[1]. وزيادةُ المبنى تدلُّ على زيادةٍ في المعنى[2]، وأنَّ الزِّيادةَ في مثل هذه المواضع تدلُّ على المبالغة، و(استفعل) بمعنى (فَعَلَ) نحو: (قرَّ) و(استقرَّ)، إذ لا بدَّ في (استقرَّ) من مبالغةٍ[3]، ومثلُ ذلك قولهُ: ﴿يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الصافات: 14]، أي: يبالغون في السُّخرية[4]، ومثل ذلك قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾.

تَوجيهُ (الاستئنافِ) في جُملةِ الإذهابِ والاستِخلاف:

الاستِخلافُ انسِجامٌ مع سُنَنِ الكَونِ المتأتِّية

قولهُ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾؛ فـ ﴿إِن يَشَأْ﴾ وما بعدَهُ خبرُ الأوَّلِ، والجملةُ الشرطيَّةُ خبرٌ ثانٍ أو مستأنَفٌ[5]. وفائدةُ الاستئناف: الانسجامُ مع بداية جديدةٍ، واستئنافُ قومٍ آخرين فيها بعد أن أذهبَكم واستأصلَكم.

جُملةُ الإذهابِ والاستخلافِ، بينَ التَّعريضِ والتَّهديدِ:

مِنْ ألطافِ الله، عَزْفُ خطابِ التّهديدِ، بالمزْجِ بين الوعْدِ والوعيدِ

والخطابُ يجوز أن يكونَ للنَّبيِّ ﷺ وللمؤمنين معه، والمقصودُ منه التَّعريضُ بمن يغفُلُ عن ذلك من المشركين، ويجوزُ أن يكونَ إقبالًا على خطابِ المشركين، فيكونَ تهديدًا صريحًا، وذلك ما يؤذِنُ به قولُه عَقِبَه: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾. وقوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ نبَّهَ على أنَّ قدرتَهُ ليست مقصورةً على جنسٍ دونَ جنسٍ من الخَلْقِ الَّذين يصلحونَ لرحمتهِ العظيمة، فَبَيَّنَ أنَّه تعالى لرحمته أبقى هؤلاءِ القومَ الحاضرين وأمهلهم،

(1) ابن سيده، المخصّص: 14/180.
(2) الزّركشّي، البرهان: 2/477.
(3) الرضّي، شرح الرضي على الشافية: 1/111.
(4) الشّوكانّي، فتح القدير: 4/389.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/651.

ولو شاءَ؛ لأماتَهم وأفناهم بكُنْ فَيَكون، وأبدلَ بهِم سواهُم، ثمَّ بيَّن تعالى عِلَّةَ قدرتهِ على ذلك، فقال: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾[1]. فجعلَها سُنَّةً كونيَّةً في الخَلْقِ والإنشاء.

دَلالةُ ﴿مِنْ﴾ في قولهِ تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِكُم﴾:

دورةُ الاستبدالِ والاستخلافِ، مُستمرَّةٌ إلى قيامِ السَّاعةِ

ولمَّا كانت مشيئةُ اللهِ ألَّا يجعلَ لأحدٍ الخُلْدَ؛ أدخلَ الجارَّ؛ فقال: ﴿مِنۢ بَعْدِكُم﴾، أي: بعد هلاككم، فـ﴿مِنْ﴾ زائدةٌ للتَّوكيد، فتكونُ بُؤْرةُ الحديثِ هي إذهابُكم، ويكونُ من بعدِكم ما يشاء من الاستخلافِ والتَّبديل إلى يوم القيامةِ.

إيثارُ الموصولِ (ما) المُستعمَلِ لغيرِ العاقلِ:

قُدرةُ اللهِ على إنشاءِ الحيِّ من غيرِ الحيِّ، والعاقلِ من غيرِ العاقلِ

وقولهُ: ﴿مَّا يَشَآءُ﴾ يجوزُ أن تكونَ ﴿مَّا﴾ واقعةً على ما هو من جنس الآدميِّين، وإنَّما أتى بـ ﴿مَّا﴾ وهي لغير العاقل للإبهام الحاصلِ، ويجوز أن تكونَ واقعةً على غير العاقل، وأنَّه يأتي بجنسٍ آخرَ، ويجوزُ أن تكونَ واقعةً على النَّوع من العقلاءِ[2]، وقولهُ: ﴿مَّا يَشَآءُ﴾، أي: يبدع غيرَكم من الخلقِ من جنسكم، أو غيرِ جنسِكم، كما أبدعَ أباكم آدمَ منَ التُّرابِ، والتُّرابَ من العَدَمِ، وفرَّعكم منهُ، ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ﴾، أي: نسلِ ﴿قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾[3].

والموصولُ ﴿مَّا﴾ وهو لغيرِ العاقل دونَ أن يقولَ: (من يشاء) الَّتي هي للعاقلِ؛ لبيان عظيمِ قدرتهِ في إنشاء العاقل من غيرِ العاقلِ، وإنشاءِ الحيِّ من غيرِ الحيِّ، فخلقَ آدمَ - وهو حيٌّ عاقلٌ - من ترابٍ، وهو غير حيٍّ وغيرُ عاقلٍ، و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا يَشَآءُ﴾ قيل: بمعنى (مَنْ)، والأَولى: أنَّه إن كان استخلافُه من غيرِ العاقل؛ فهي واقعةٌ موقعَها، وإن كان عاقلًا؛ فيكونُ قد أُريدَ بها النَّوعُ[4].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/165.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 5/156.
(3) البقاعيّ، نظم الدرر: 2/719.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/651 - 652.

بلاغةُ الاحتباكِ في الآيةِ الكريمةِ:

والمعنى العامُّ للآية يُنبئ أنَّ فيها احتباكًا، فيكون المعنى بحسَبِه: (إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ، ويُنشِئْ آخرين، ويستخلفْهم من بعدِكم ما يَشاء، كما أنشَأَكُم من ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرينَ، واستخلفكم). ولعلَّ من بلاغة هذا الاحتباكِ بيانَ التَّداخلِ بين عمليَّتَي الإذهاب والنَّشأة، وكأنَّهما تَحْدُثَانِ في وقتٍ واحدٍ؛ ففي الوقتِ الَّذي يذهبُ فيه قومٌ يَنشأُ قومٌ آخرون، وفي الوقت الَّذي تذهب فيه حضارةٌ وتتلاشى، تنمو حضارةٌ أخرى، وتزدهر بحسب قانونِ التَّدافع، وسُنَّةِ اللّه في الإذهاب والاستخلاف.

التَّتابُعُ والتَّزامنُ، بينَ الإذهابِ والاستِخلافِ

بلاغةُ التَّشبيهِ في الإنشاءِ، في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾:

قولُه: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾؛ تشبيهٌ تمثيليٌّ في إنشاءِ موجوداتٍ بعد موجوداتٍ أخرى، لا في كون المُنشَآتِ مُخرَجةً من بقايا المعدومات، ويجوز أن يكونَ التَّشبيهُ في إنشاء موجوداتٍ من بقايا معدوماتٍ[1]. وهذا يعني: أنَّ هناك تخليقًا جديدًا للحياة من كائناتٍ غيرِ حيَّةٍ، وهذه المسألةُ أصبحت اليوم من التحدِّياتِ الكبرى لعلماءِ الحياة؛ إذ كيف يأتي الحيُّ من غيرِ الحيِّ؟ ويمكن أن يكونَ التَّشبيهُ التمثيليُّ هنا بمعنى: أنَّ إنشاءَ الحضارات وإبادتها هو كإنشاء الحياةِ وإبادتها تمامًا بتمام، وهذا من فوائدِ الاحتباك أيضًا ومن جماليَّاته.

إنشاءُ الحضاراتِ كإنشاءِ الحياةِ، لها أسبابٌ ومُسبِّباتٌ

وَجْهُ التَّعريضِ في جُملةِ التَّشبيهِ ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾:

وفي جملة التَّشبيهِ تعريضٌ بأولئك المنكرين للإيمان، وبقدرتهِ سبحانه على إحياء الموتى، والخَلقِ من العدَمِ، وهذا من الفوائد الَّتي حقَّقها فنُّ الاحتباكِ أيضًا. وقوله: ﴿كَمَآ﴾، فـ (ما) مصدريَّةٌ، ومحلُّ الكافِ النَّصبُ على أنَّه مصدرٌ تشبيهيٌّ، فـ (يستخلف)

التَّعريضُ بالمخاطَبين على أنّه قادرٌ على أن يُنشئَ كائناتٍ كإنشائِهم

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/87.

في معنى يُنشِئ، كأنَّه قيل: وينشئُ إنشاءً كائنًا كإنشائِكم، أو نعتٌ لمصدرِ الفعل المذكورِ، أي: يستخلفُ استخلافًا كائنًا كإنشائكم[1].

وُجوهُ الحرف ﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ﴾:

تنـوُّعُ حـالاتِ الإنـشـاءِ مـنَ الـذُّرِّيّـة، دليلُ عظمةِ الـقُـدرةِ الإلهيّة

وقوله: ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ إمَّا أن تكونَ ﴿مِّن﴾ للتَّبعيض، أو أن تكونَ لابتداءِ الغاية، أو هي بمعنى العِوَض، وقال الطَّبريّ، وَتَبِعَهُ مَكِّيٌّ: هي بمعنى أخذتُ من ثوبي دينارًا، بمعنى: عنه وعوضِهِ، يعني: أنَّها بدليَّةٌ تفيد التَّعقيبَ؛ إذ لم يردْ بإخبارهم هذا الخبرَ، أنَّهم أُنشِئوا من أصلابِ قومٍ آخرين، ولكن معنى ذلك: أنَّهم أُنشِئوا مكانَ خَلْقٍ خَلَفَ قومٍ آخرين قد هلكوا قبلَهم[2].

ويحتمِلُ المعنى: من أولاد قومٍ متقدِّمين؛ أصلُهم آدمُ عليه السلام أو من أولاد قومٍ آخرين، لم يكونوا على مثلِ صفتِكم؛ وهم أهلُ سفينةِ نوحٍ عليه السلام ويعني: أنَّكم من ذريَّة قومٍ صالحين، فلو شاءَ أذهبَكم - أيُّها العصاةُ - ويستخلفُ بعدَكم طائعين، كما أنَّكم عصاةٌ أنشأكم من قومٍ طائعين[3].

سِرُّ تَنكيرِ لفظِ ﴿قَوْمٍ﴾:

أخبـارُ الأقـوامِ مـنَ الأجـدادِ الـغـابِـريـن، منـها مـعـروفٌ ومجهولٌ

تنكيرُ لفظِ قومٍ في قوله تعالى: ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أفادَ التَّهوينَ والتَّحقيرَ؛ إذ مَن يعرفُ تلك الأقوامَ الّتي أنشأكم اللّهُ منها؟ لا أحدَ يعلمُهم سوى اللّهِ تعالى، فكما أنَّكم قد وُجِدتُم من ذريَّةِ قومٍ لا تعلمونهم، كذلك فإنَّ اللّهَ تعالى قادرٌ على أن يهلكَكم، ويُنشِئَ أقوامًا من ذريَّةٍ آخرين، غيرِ معلومين لديكم ولا لديهم.

دَلالةُ المُغايَرةِ في وصْفِ (القومِ) بـ ﴿ءَاخَرِينَ﴾:

ووصْفُ قومٍ بـ ﴿ءَاخَرِينَ﴾ للدلالة على المغايرة، وذلك تنبيهٌ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/187.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/127.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/651 - 652.

على عظيم قدرةِ اللّهِ تعالى أن ينشِئَ أقوامًا من أقوامٍ يخالفونهم في اللُّغة والعوائدِ والمواطن[1]. وهو دليلٌ على تباعُدٍ في الزَّمان بينكم وبين الأقوام الَّتي أنشأكم اللّهُ منها، فأنتم اليومَ لا تعلمون عن مواطنِهم ولغاتِهم وأساليبِهم في الحياةِ شيئًا يُذكر، فقال: بآخرين؛ تعبيرًا عن ذلك الجهلِ بآبائكم الأوَّلين، وهذا من عظيمِ شأنِ اللّهِ وعلمِهِ وقدرتِهِ في الخلقِ والإنشاءِ والتَّقديرِ.

اللّهُ أعلمُ بما خلَقَ منَ السُّلالاتِ والأقوامِ، المُوغِلةِ في القِدَمِ

بلاغةُ الكنايةِ في جُملةِ الفاصلةِ:

وقولُهُ: ﴿قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ كنايةٌ عن تباعُدِ العصور، وتسلسل المنشآتِ؛ لأنَّ الاختلافَ بين الأصول والفروع، لا يحدث إلَّا في أزمنةٍ بعيدةٍ، فشتَّانَ بين أحوالِ قومِ نوحٍ وبين أحوال العرب المخاطَبين، وبين ذلك قرونٌ مختلفةٌ متباعدةٌ[2].

يَظهرُ الاختلافُ بينَ الأصولِ والفروعِ على أزمنةٍ مُتباعِدةٍ

جَماليَّاتُ السِّياقِ بينَ التَّشبيهِ التَّمثيليِّ والاحْتباكِ:

من نوادرِ القولِ أنْ يأتي رُكنَا الاحتباكِ ركنين للتَّشبيه، فهذا من عجائبِ أسلوب القرآن الكريم وجماله وإعجازه، والرُّكنان المشتركان للتَّشبيه والاحتباك هما: المشبَّه: ﴿وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾، والمشبَّهُ به: ﴿أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾؛ وهما صورتان؛ إذ أسَّسَ ركنا التَّشبيهِ (المشبَّه والمشبَّه به)، لاحتباك نادرٍ، ركناهُ المحذوفان هما: (ينشِئ آخرين) و(استخلفكم) ومع ركني الاحتباك يكتملُ معنى التَّشبيه التَّمثيلي؛ إذ كيف يُشبِّه الاستخلافَ بالإنشاء من الذُّريَّةِ، مع أنَّ الذُّرِّيَّةَ بواقع حالها أضعفُ شأنًا من الأقوياء القادرين المؤهَّلين للاستخلافِ؟ فمِنَ المعلوم أنَّ المشبَّه به يكون هو الأقوى في وجه الشَّبهِ، فجاء الاحتباكُ؛ ليكشفَ عن ركنين محذوفين في المقابلةِ، بين المُهلَكين والمنشئِينَ،

قُدرةُ اللّهِ ومشيئتُهُ، هي الحُكمُ في الإنشاءِ والاستِخلافِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/87.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/87.

فبيَّن أنَّ وجهَ الشَّبهِ متعدِّدٌ من جانبين هما: الإنشاءُ والاستخلاف، فشبَّهَ الإنشاءَ الثَّاني بالإنشاءِ الأوَّلِ، وشبَّهَ الاستخلافَ الثَّاني بالاستخلافِ الأوَّلِ، وجعل قدرةَ اللهِ ومشيئتَه سبحانه هي الحاكم والمُقَدِّرَ والمُدبِّر، فمعنى الاحتباكِ هو: (إن يشأْ يُذهبْكم، ويُنشِئْ آخرين، ويستخلفْهم من بعدِكم، ما يشاءُ، كما أنشأكم من ذريَّةِ قومٍ آخرين، واستخلفكم). ويكون معنى التَّشبيه بحسب الاحتباكِ هو: (ويستخلف من بعدكم كما استخلفكم)، و(ينشئ آخرين كما أنشأكم)، فَوَجْهُ الشَّبَهِ المَشيئَةُ والقُدْرَةُ على الاستخلاف والإنشاءِ.

نُكتةُ تَكرارِ فعلِ المشيئةِ ﴿إِن يَشَأْ﴾ ﴿مَّا يَشَآءُ﴾:

وتمحورتِ المشيئةُ ومعاني القدرةِ والهيمنة وتموضعتْ بين ركني التَّشبيه والاحتباك، فقوله: (ما يشاء) دلَّ على تَكْرار الإنشاء والاستخلاف، وكأنَّ عجلةَ التَّاريخِ تدور، فيتجدَّد معها الزَّمان، والمكان، والإذهاب، والاستخلاف، وما في ذلك من الدَّلالة على سَعة المُدَدِ الزمنيَّة بين نشءٍ وآخر، فاختصرَ الأزمنةَ كلَّها، وكأنَّها تندرج جميعها، في مشهد واحدٍ، وزمن واحدٍ، ومكان واحدٍ.

حدوثُ الإنشاءِ والإذهابِ في زمانٍ واحدٍ، دلالةٌ على قُدرةِ الله الواسعةِ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(المشيئةُ)، و(الإرادةُ) و(الاختيارُ):

ورد في سورة الحجِّ قولهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج: 14]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: 18]، ذكرَ ابنُ عَاشُور قولَهُ: الإرادَةُ والمَشيئَةُ بِمَعْنًى واحِدٍ، والرِّضا والمَحَبَّة والاختيار بِمَعنًى واحِدٍ[1]. وجاء في معجم الفُروق اللُّغَويَّة للعسكريِّ قوله: "الفرقُ بين الإرادة والمشيئة: أنَّ الإرادَةَ تكون لما يتراخَى وقتُهُ، ولِما لا يتراخَى، والمَشيئَة لِما لَم يتراخَ وقتُه"[2]. قال الشَّنقيطيّ:

الإرادةُ أعـمُّ مِـنَ الـمشيئةِ، والاِختيارُ خِلافُ الاِضْطِرارِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/339.
(2) العسكريّ، الفُروق اللّغويّة، ص: 124.

"واعلم أنَّ الإرادةَ الكونيَّةَ أعمُّ من الرِّضا؛ لأنَّ اللّهَ - جلَّ وعلا - يريدُ بإرادته الكونيَّةِ ما هو مرضيٌّ عندَهُ كإيمانِ المؤمنين، ويريدُ بها ما ليس مرضيًّا عندَهُ ككفر الكافرين. وأمَّا الإرادةُ الشرعيَّةُ، فهي ملازمةٌ للرِّضا، فكلُّ ما أرادَه اللّه شرعًا؛ فهو مرضيٌّ عنده، وكلُّ ما هو مرضيٌّ عندهُ، فهو مرادٌ له شرعًا. وهذا التَّحقيقُ تدلُّ عليهِ آياتُ القرآنِ؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾ [الأنعام: 107] نصٌّ في أنَّ شركهم إنَّما وقعَ بمشيئةِ اللّه، وهي إرادتُه الكونيَّةُ، وقولهُ تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: 7] دليلٌ على أنَّ الكفرَ ليس بمرضيٍّ عنده، وأنه غيرُ مرادٍ له شرعًا"[1]. فتكون الإرادةُ بقسميها الكونيَّة والشرعيَّةِ أعمَّ من المشيئة. أمَّا الاختيارُ؛ قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: 68]، فالاختيارُ: إرادَةُ الشَّيْءِ بَدَلًا من غَيرِه، وأصلُ الاختيارِ الخَيْرُ، فالمختار هوَ المريدُ لخير الشَّيْئَيْنِ في الحَقيقَة، أَو خيرِ الشَّيْئَيْنِ عِنْد نَفسه من غير إلجاءٍ واضطرار، وَلَو اضْطرَّ الإنْسانُ إِلَى إرادَة شَيْءٍ لم يُسَمَّ مُخْتارًا لَهُ؛ لِأَنَّ الاخْتيارَ خلافُ الاضْطرار[2].

(الإذهابُ)، و(الأخذُ):

الإذهَـابُ يـدلُّ عـلى الـتَّراخِـي، والأَخذُ يدلُّ على السُّرعةِ والقُوَّةِ

(الإذهاب): ذهبَ من دارِهِ إلى المسجد ذهابًا ومذهبًا، وذهب به: مرَّ بهِ مع نفسه[3]. والذَّهابُ: المضيُّ، يقال: ذَهَبَ بالشَّيءِ وأَذْهَبَهُ، ويُستعمل ذلك في الأعيان والمعاني، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصّافات: 99]، وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ [إبراهيم: 19]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: 19]، أي: لتفوزوا بشيءٍ من المَهْرِ، أو غير ذلك

(1) الشنقيطي، رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص: 120.
(2) العسكريّ، الفُروق اللّغويّة، ص: 124.
(3) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (ذهب).

ممَّا أعطيتموهنَّ، وقوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: 46]، وقال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ [البقرة: 17]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ﴾ [البقرة: 20][1]. و(الأَخْذُ): حَوزُ الشَّيءِ وتَحصيلُهُ، وذلك تارةً بالتَّناوُل نحو: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: 79]، وتارةً بالقهر نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: 255]، وقال تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود: 67]، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥﴾ [النازعات: 25]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [هود: 102][2]. فالإذهاب يدلُّ على معنى التَّراخي في الأخذ، وهو المناسبُ لمعنى الآية هنا، والأخذُ يدلُّ على السُّرعة والقوَّة.

(الاستِخلافُ)، و(الاستِبدالُ):

الاستِبدالُ أعمُّ منَ الاستِخلاف، وكلاهما لفظٌ قُرآنيٌّ فصيحٌ

قولُه: ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَ﴾ الخَلْفُ: ضدُّ قُدَّام، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: 59]. وخَلْفُ صدقٍ وخَلْف سوءٍ، وخلْفٌ: للسُّوء لا غير. ويقال للصِّدق أيضًا: خَلْفُ صدْقٍ، وعن الفرَّاء قال في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: 169]، قال: الخلْفُ يُذهبُ به إلى الذَّمِّ، والخَلَفُ: خَلَفٌ صالحٌ، وقيل: بجواز (خلْف) في الصالح، فيقال: هذا خلْفُ صِدْقٍ، وهذا خلْفُ سوءٍ، وهؤلاءِ خَلْفُ سوءٍ، وهذا خَلْفُ سوءٍ[3]. وقَوْلُه تعالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ﴾ [الأعراف: 169]، أَي: بَقيَّةٌ، والخَلْفُ: الرَّديءُ مِنَ القَوْلِ، مِنَ المَجازِ: الخَلْفُ مِن النَّاس: مَنْ لا خَيْرَ فيه، يُقال: جاءَ خَلْفٌ مِن النَّاس، ومَضَى خَلْفٌ مِنَ النَّاس، وجاءَ خَلْفٌ لا خَيْرَ فيه[4].

والاستبدالُ: جعْلُ شيءٍ مكانَ آخرَ، وهو أعمُّ من العِوَض، ومن الاستخلاف، فالعِوَض هو أن يصيرَ لك الثَّاني بإعطاء الأوَّل،

(1) الرّاغب الأصفهانّي، المفردات: (ذهب).
(2) الراغب الأصفهانّي، المفردات: (أخذ).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (خلف).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (خلف).

والتَّبديل قد يقال للتَّغييرِ مطلقًا، وإن لم يأتِ ببدَلِه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: 38]، وقال: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: 59]، وقوله: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: 55]، وقال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: 70] قيل: أن يعملوا أعمالًا صالحةً تبطلُ ما قدَّموهُ من الإساءةِ، وقيل: هو أن يعفوَ تعالى عن سَيِّئاتهم، ويحتسبُ بحسناتهم[1].

(الذُّرِّيَّةُ)، و(النَّسْلُ):

الـذُّرِّيَّـةُ تـدلُّ على الاجتماعِ، والـنَّـسـلُ يـدلُّ على الانفصالِ

الذُّرِّيَّةُ: (ذَرَأَ) بمعنى: خَلَقَ، وَمِنْهُ (الذُّرِّيَّةُ)، وَهيَ نَسْلُ الثَّقَلَيْنِ - تَرَكوا- والجَمْعُ (الذَّراريُّ) بِتَشْديدِ الياءِ، وَفي الحَديثِ: (ذَرْءَ النَّارِ، أَيْ: إنَّهم خُلِقوا لَها[2]. قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 34] وسوف تَرِدُ اللَّفظةُ (ذرأ) في الآية [136]، وهُما من أصلٍ واحدٍ، وهذا من تَناسُبِ ألفاظِ القِطعَةِ القُرآنيَّةِ، ودلالَةُ الذُّرِّيَّة تكون على الاتِّصال بين الآباءِ والأبناءِ، والاجتماع بينهما، على خِلافِ مَعنَى النَّسل، فالنَّسلُ: الانفِصالُ عن الشَّيءِ، يُقال: نَسَلَ الوَبَرُ عن البَعيرِ، والنَّسلُ الوَلَدُ؛ لكونِهِ ناسِلًا عن أبيهِ، وتناسَلوا بمعنى توالَدوا، قال: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة: 205][3].

(1) الرّاغب الأصفهانّي، المفردات: (بدل).

(2) الرّازيّ اللغوي، الصحاح: (ذرأ). في حديث كتابة عمر بن الخطاب إلى خالد بن الوليد ﷺ: «وإني أظنكم آل المغيرة ذرء النار». رواه أبو عبيد في غريب الحديث: (4/227).

(3) الراغب الأصفهانّي، المفردات: (نسل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»